مجلة جامعة الملك سعود، م٢١، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ص ص ١٨١-٢١٨، الرياض (٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ)

مسائل الاعتقاد من خلال آيات الجهاد (مسائل التوحيد)

خالد بن إبراهيم الذبيان

أستاذ مشارك، كلية الملك فيصل الجوية،

المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٧/ ١١/١٤٢٧هـ، وقبل للنشر في ٢٩/٢/١٤٢٨هـ)

ملخص البحث. يتناول البحث موضوع الجهاد في سبيل الله وارتباطه بالعقيدة الإسلامية، مع بيان واقع بعض الناس من الجهاد بين مغالي فيه ومجاف عنه وموضحاً المنهج الـ ـط المعتمد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفق فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ثم تناول البحث ارتباط الجهاد بالعقيدة الإسلامية، وذلك من خلال المفردات التالية: أبرز مسائل توحيد الألوهية في آيات الجهاد. وأبرز مسائل توحيد الربوبية في آيات الجهاد. وأبرز مسائل توحيد الأسماء والصفات في آيات الجهاد.

وبكل فقرة من فقرات البحث يستشهد بما يظهر من دلالة الآيات في المجال العقدي، وقد استن بمنهجية مفسري آيات الأحكام كالقرطبي وابن العربي المالكي وغيرهما. ويهدف البحث إلى تحقيق الأمور التالية: بيان وحدة أحكام الشريعة والفقه الإسلامي، فعلوم العقيدة مرتبطة بعلوم الفقه، ومسائل العبادات مرتبطة بمسائل المعاملات، ومن الأهداف أهمية علوم العقائد وتأصيلها بالكتاب والسنة، وبخاصة مسائل التوحيد التي لا يسع الخلاف فيها. ومن الأهداف: تطبيق مبدأ التدبر لكلام الله كما قال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ ومن الأهداف: إضافة بحث يتعلق في أعظم مهمة للعسكريين وهو موضوع الجهاد في سبيل الله، إلى الدراسات والأبحاث العسكرية.

وختم الباحث بحثه بأهم النتائج التي وصل إليها من خلال بحثه، ومنها: ضرورة تربية العسكريين وهم المناط بهم الجهاد في سبيل الله، تربية عقدية مرتبطة بكتاب الله تعالى. وضرورة بناء الأجيال على الفقه والتدبر لكلام الله، وإزالة الشبه التي يثيرها أعداء الدين حول أهداف الجهاد في سبيل الله، ومقاصده. وإن الجهاد في سبيل الله عبادة جليلة، وعقيدة سامية، سلكها الأنبياء عليهم لصلاة والسلام، وسار على آثارهم أتباعهم من العلماء والأمراء، وهو ماض مع البر والفاجر إلى يوم القيامة.

المقدمـــــــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . . . وبعد:

لقد أنزل الله القرآن الكريم للعمل به، والدعوة إليه، كما قال ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [١] وأمر سبحانه بتدبر آياته وأحكامه، كما قال ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٢].وقال عن تدبره ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣].

ومن أبرز ما يظهر من جهود العلماء في تدبر القرآن الكريم، استظهار الأحكام والحكم من الآيات القرآنية، وهي الآيات الوارد فيها ذكر الحلال والحرام، والأمر والنهي، وبيان تفاصيل الأحكام التعبدية، مثل ذلك أحكام الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج لبيت الله، ومسائل المواريث، وأحوال الطلاق ...الخ من الأحكام الشرعية.

وقد قال القرطبي في مقدمة كتابه: (جعل إلى رسوله ﷺ بيان ما كان منه مجملا، وتفسير ما كان منه مشكلا، وتحقيق ما كان منه محتملا، ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به، ومنزلة التفويض إليه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤].

ثم جعل إلى العلماء بعد رسول الله ﷺ استنباط مانبه على معانيه، وأشار إلى أصوله ليتوصلوا باجتهاد فيه إلى علم المراد، فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصوا بثواب اجتهادهم، قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[٥].

فصار الكتاب أصلا والسنة له بيانا، واستنباط العلماء له إيضاحا وتبيانا. فالحمد لله الذي جعل صدورنا أوعية كتابه، وآذاننا موارد سنن نبيه، وهممنا مصروفة إلى تعلمهما والبحث عن معانيهما وغرائبهما، طالبين بذلك رضا رب العالمين، ومتدرجين به إلى علم الملة والدين[٦].

ومن أبرز معاني تدبر آيات القرآن الكريم النظر والتفكر في دلالات الآيات، وما تحتويه من

---

(١) سورة الزخرف- (٤٤).

(٢) سورة الأنعام- (٥٥).

(٣) سورة ص- (٢٩).

(٤) سورة النحل- (٤٤).

(٥) سورة المجادلة- (١١).

(٦) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ٢/١- دار الكتب المصرية- ط:٢- ١٣٧٢هـ.

أحكام، وهو ما أقدمه في هذا البحث عن مسائل الاعتقاد من خلال آيات الجهاد، وهي الآيات التي تبين تفاصيل غزوات الرسول ﷺ وجهاده مع الكفار، أو الآيات التي تدل على أوامر وأحكام وآداب للمجاهدين في سبيل الله.

إن علماء السلف تناقلوا في أقوالهم ومصنفاتهم مسمى (آيات الجهاد) أو (آية السيف)، فقد نقل عن ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما، عند قوله تعالى ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[٧]: (نزلت هذه الآية في الابتداء ثم نسختها آية السيف)[٨].

وعند تفسير قوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[٩]، قال التابعي سعيد ابن جبير: (نسخ إطعام المسكين آية الصدقات، وإطعام الأسير آية السيف)[١٠].

وقال البقاعي حينما تحدث عن سورة النساء: (إن آيات الجهاد في هذه السورة معلمة للحذر خوف الضرر، مرشدة إلى إتقان المكائد للتخلص من الخطر، وكان ذلك مظنة لمتابعة النفس والمبالغة فيه، وهو مظنة للتواني في أمر الجهاد)[١١].

وقد استخدم ابن تيمية مسمى (آيات الجهاد) فعند تعليقاته على قول الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[١٢] قال: (ذكر بعد آيات الجهاد إنزال الكتاب على رسول الله ليحكم بين الناس بما أراه الله ونهيه عن ضد ذلك)[١٣].

كما نقل العلماء المعاصرون لفظ (آيات الجهاد) في كتبهم مثال ذلك قول الشيخ ابن سعدي عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[١٤] قال: (إن الله أمر بالقتال ليكون الدين كله لله، ولدفع اعتداء المعتدين على الدين. وأجمع المسلمون على أن الجهاد ماض مع البر والفاجر، وأنه من الفروض المستمرة الجهاد القولي والجهاد الفعلي. فمن ظن من المفسرين أن هذه الآية تنافي آيات الجهاد، فجزم بأنها منسوخة فقوله

---

(٧) سورة البقرة- (٨٣).

(٨) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ١٦/٢.وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير- ١٧١/١- مطبعة الشعب- القاهرة.

(٩) سورة الإنسان- (٨).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ١٢٩/١٩.

(١١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- إبراهيم بن عمر البقاعي - ٢٦٠/٢.

(١٢) سورة النساء- (١٠٥).

(١٣) مجموع فتاوى ابن تيمية- ٢٥٩/٣ - مكتبة المعارف- الرباط.

(١٤) سورة البقرة- (٢٥٦).

ضعيف، لفظا ومعنى، كما هو واضح بين لمن تدبر الآية الكريمة، كما نبهنا عليه)[١٥].

أسباب اختيار الموضوع

إن موضوع العقيدة من أهم مباحث الدين، وقد عمدت في هذا البحث أن أستخرج مسائل في التوحيد من خلال آيات الجهاد، وذلك للأسباب التالية:

١- بيان وحدة أحكام الشريعة والفقه الإسلامي، فعلوم العقيدة مرتبطة بعلوم الفقه، ومسائل العبادات مرتبط بمسائل المعاملات.

٢- أهمية علوم العقائد وتأصيلها بالكتاب والسنة، وبخاصة مسائل التوحيد التي لا يسع الخلاف فيها.

٣- التأسي بعلماء السلف رحمهم الله في تصنيف آيات الأحكام، كالإمام القرطبي، والإمام ابن العربي.. وغيرهما.

٤- إن الجهاد في سبيل الله له أهمية ومنزلة من الدين، كما ثبت ذلك في نصوص الكتاب والسنة، ولذا أردت من خلال هذا البحث إبراز الجانب العقدي في أحكام الجهاد.

٥- تطبيق مبدأ التدبر لكلام الله كما قال تعالى ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١٦]، وتنفيذ توصية الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حينما سأله أبوجحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: (لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه، إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن ..)[١٧].

٦- إضافة بحث يتعلق في أعظم مهمة للعسكريين وهو موضوع الجهاد في سبيل الله، إلى الدراسات والأبحاث العسكرية.

خطة البحث

وبعد الاستخارة لله تعالى واستشارة أهل العلم، وبالنظر إلى عدد الآيات التي تتناول موضوع الجهاد وجاء ذكر مسألة أو مسائل في العقيدة فيها، فقد قسمت المبحث إلى ما يلي:

المطلب الأول: أهمية الجهاد في حماية ونشر العقيدة الإسلامية.

المطلب الثاني: أبرز مسائل توحيد الألوهية في آيات الجهاد.

المطلب الثالث: أبرز مسائل توحيد الربوبية في آيات الجهاد.

---

(١٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- السعدي- ٩٢- مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

(١٦) سورة ص- (٢٩).

(١٧) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب فكاك الأسير- رقم (٢٨٢٠).

المطلب الرابع: أبرز مسائل توحيد الأسماء والصفات في آيات الجهاد.

أهم نتائج البحث.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

المطلب الأول: أهمية الجهاد في حماية ونشر العقيدة الإسلامية

أصيبت الأمة الإسلامية في هذا العصر بفتنة الفهم التغريبي للنصوص الشرعية، والأحكام التعبدية، وهي إصابة في أصل قوام الأمة، وإنفراد سيادتها وشهادتها على الأمم، كما قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[١٨]. قال ابن كثير: (وإنما حازت هذه الأمة قَصَبَ السَّبْق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ فإنه أشرفُ خلق الله أكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يُعْطه نبيًّا قبله ولا رسولا من الرسل. فالعمل على منهاجه وسبيله، يقوم القليلُ منه ما لا يقوم العملُ الكثيرُ من أعمال غيرهم مقامه)[١٩].

وأما ما يتعلق في موضوع الجهاد في سبيل الله، وهو مجال بحثنا، فقد ظهر الانحراف في مفهومه نتيجة للتغريب في بأمرين:

١- إن الجهاد هو هدر لمقدرات الأمم، وقتل لشعوبها، وقضاء على اقتصادها، ويمكن الحصول على المراد تحصيله بالطرق السلمية، وقاعات المؤتمرات، فالمسلم بطبعه مسالم.

٢- إن الجهاد في سبيل الله ترفع راياته، وتتحرك عواطف المسلمين بتجهيز ما يلزم تجهيزه، ويقاتل تحت أي راية، وينابذ الكفار بلا قيادة وإمرة أو ولاية.

وكلا الطريقين[٢٠] لم يسلكا مسلك الكتاب والسنة، الذي جاء بتقرير مشروعية الجهاد، وبيان فضله، وتحديد الحكم من مشروعيته، وضبط أحكامه.

---

(١٨) سورة آل عمران- (١١٠).

(١٩) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير- ٧٧/٢. وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري - ٦٧١/٥- مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية- دار هجر- القاهرة- ط:١- ١٤٢٢هـ

(٢٠) انظر عن هذه الأفكار: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية- علي العلياني- ٣١٨- دار طيبة- الرياض- ط:١- ١٤٠٥هـ. ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير- فهد الرومي- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط:١- ١٤٠١هـ. والقانون الدولي العام- أبوهيف- ٩٢٣- منشأة المعارف بالإسكندرية- ط:١٢- ١٩٧٥م. وتحريم الحروب في العلاقات الدولية- يحيى الشيمي-٦٤٥- القضاء العسكري- ١٩٧٦م. والجهاد في سبيل الله حقيقة وغايته- عبدالله القادري- دار المنار- جدة- ط:١- ١٤٠٥هـ

وقبل بيان مسائل الاعتقاد في آيات الجهاد، أبين أبرز مقاصد وأهداف الجهاد في الشريعة الإسلامية، والتي من أجلها شرع الجهاد في سبيل الله.

تعريف الجهاد

عرف علماء اللغة الجهاد بأنه: جاهَدَ العدوَّ مُجاهَدة وجِهاداً قاتله وجاهَد في سبيل الله. وفي الحديث (لا هِجرة بعد الفتح ولكن جِهاد ونِيَّةٌ). الجهاد محاربة الأَعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أَو فعل. والمراد بـ(النية): إخلاص العمل لله، أَي أَنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لأَنها قد صارت دار إِسلام وإِنما هو الإِخلاص في الجهاد وقتال الكفار. والجهاد المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أَو اللسان أَو ما أَطاق من شيء)[٢١].

ويتفق التعريف اللغوي للجهاد مع التعريف الشرعي، فقد عرف العلماء الجهاد بأنه: (بذل الجهد في قتال الكفار)[٢٢] وقالوا عنه أن الجهاد، يعني: (قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله)[٢٣] وقالوا عن الجهاد بأنه (الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله)[٢٤].

لقد فقه العلماء أن الجهاد يعني بذلاً وتضحية، ومبالغة في استفراغ الطاقة والمال والجهد، من أجل تبليغ دين الله للعالمين.

أهداف الجهاد وغايته

من خلال التعريفات السابقة يظهر الرد على الموقفين السابقين من الجهاد، وقد أوضح علماء الشريعة أن للجهاد غايات، من أبرزها:

١- إعلاء كلمة الله وإذلال الشرك وأهله

وهذا المقصد الأعظم من مشروعية الجهاد في سبيل الله، وجاءت النصوص الشرعية بهذا الأصل، كقوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢٥]. واتفقت أقوال عدد من الصحابة والتابعين على أن المراد (بالفتنة) هو الشرك[٢٦]، وأن المقاتلة تستمر حتى يظهر دين الله على سائر الأديان[٢٧].

ويتفق النص القرآني والفهم السلفي للآيات، مع النص النبوي في مشروعية الجهاد كقول النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة

---

(٢١) لسان العرب -ابن المنظور- مادة (جهد)- ١٣٣/٣- دار صادر.

(٢٢) فتح الباري- ابن حجر- ٢/٦- المكتبة السلفية- القاهرة- الطبعة الرابعة- ١٤٠٨هـ

(٢٣) إرشاد الساري- القسطلاني- ٣١/٥- بهماشه صحيح مسلم بشرح النووي- .مكتبة المثنى- بغداد.

(٢٤) حاشية رد المحتار- ابن عابدين- ١٢١/٤- دار الفكر بيروت – لبنان- ١٤١٥هـ.

(٢٥) سورة البقرة- (١٩٣).

(٢٦) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير- ٣٢٩/١.

(٢٧) انظر: زاد المسير- ابن الجوزي- ٢٠٠/١- المكتب الإسلامي- بيروت- ط:٣- ١٤٠٤هـ

فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[٢٨].

ولما سئل الرسول ﷺ عن مقاصد الناس من الجهاد، والتي حصرها السائل بقوله: يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[٢٩].

وتناقلت أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم هذا المقصد من الجهاد، فلما وقف المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أمام قادة الفرس مبيناً لهم مقصد الجهاد في الشريعة الإسلامية، قائلاً لهم: (..أمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ومن بقي منا ملك رقابكم)[٣٠].

وأكد هذا المفهوم علماء الأمة، فيقول الشافعي: (فدل كتاب الله عزوجل وسنة نبيه ﷺ على أن فرض الجهاد إنما هو على أن يقوم به من فيه كفاية للقيام به حتى يجتمع أمران: أحدهما: أن يكون بإزاء العدو المخوف على المسلمين من يمنعه. والآخر: أن يجاهد من المسلمين من في جهاده كفاية حتى يسلم أهل الأوثان أو يعطى أهل الكتاب الجزية)[٣١]. فالجهاد نصرة للدين، أو إذلال للمشركين.

وقال ابن القيم عن المقصد الأعظم من مشروعية الجهاد: (أن تكون كلمة اللّه هي العليا، ويكون الدين كله لله. .. فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله، والرق على رقابهم، فهذا من دين الله، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون، بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة)[٣٢].

٢-حماية الدولة الإسلامية

من المقاصد العظيمة للجهاد حماية الدولة الإسلامية من أعدائها، وقد أخبر المولى عز وجل ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا

(٢٨) صحيح البخاري- كتاب الإيمان- باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة- رقم الحديث (٢٤)

(٢٩) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب من قاتل لتكون كلمة الله- رقم (٢٥٩٩).

(٣٠) صحيح البخاري- كتاب الجزية- باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب- رقم (٢٩٢٥).

(٣١) الأم -الشافعي- ١٦٧/٤- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط:٢- ١٣٩٣هـ.

(٣٢) أحكام أهل الذمة - ١٨/١- تحقيق صحبي الصالح- دار العلم للملايين- بيروت- لبنان- ط:٢- ١٤٠١هـ.

﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[٣٣]. وما تدل عليه الآية أن المشركين ضايقوهم بالأذى حتى ألجؤوهم إلى الخروج من بين أظهرهم؛ ولهذا قال: {وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي} أي: إنما كان ذنْبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده[٣٤].

وأمر الله أهل الإيمان بالصبر والمصابرة، وكذلك بالمرابطة، كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣٥]. قال الشوكاني: (صابروا العدّو في الحرب. قوله: {وَرَابِطُواْ} أي: أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها، كما يربطها أعداؤكم وهذا قول جمهور المفسرين)[٣٦].

والمرابطة تعني ملازمة الثغور وحراسة حدود الدولة الإسلامية من أعدائها[٣٧]، وقد ثبتت أحاديث كثيرة في فضل المرابطة، منها: قال رسول الله ﷺ: (كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر..)[٣٨].

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (من مات مرابطا وقي فتنة القبر وأومن من الفزع الأكبر وغدي عليه وريح برزقه من الجنة وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة)[٣٩].

وقد جهز النبي ﷺ جيشاً في غزوة أحد وكذلك في غزوة الأحزاب (الخندق) حماية للدولة الإسلامية (المدينة النبوية) حينما حاصرتها جيوش المشركين، وقال تعالى ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[٤٠]. وكذلك فعل النبي ﷺ في غزوة تبوك، وقد بعث رسول الله ﷺ إلى بني لحيان: (ليخرج من كل رجلين رجل ثم قال للقاعد أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج)[٤١].

---

(٣٣) سورة آل عمران- (١٩٥).

(٣٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير- ١٦٥/٢.

(٣٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري - ٣٢٢/٦.

(٣٦) فتح القدير –الشوكاني- ٤١٣/١- دار المعرفة- بيروت- لبنان.

(٣٧) انظر: الأم- الشافعي- ١٦٩/٤. وكشاف القناع- البهوتي- ١٢٦٣/٤- مكتبة الباز- السعودية- مكة المكرمة- ط:٢- ١٤١٨هـ. والمغني- ابن قدامه- ١٨/١٣- دار عالم الكتب- السعودية- الرياض- ط:٣- ١٤١٧هـ

(٣٨) سنن الترمذي- كتاب فضائل الجهاد–باب فضل من مات مرابطا–رقم الحديث (١٥٤٦) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣٩) مسند الإمام أحمد- ٤٠٤/٢. وقال الألباني: حديث صحيح. –صحيح الترغيب والترهيب- ٣٢/٢- مكتبة المعارف- الرياض.

(٤٠) سورة الأحزاب- (٢٥).

(٤١) صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب إعانة الغازي في سبيل الله- رقم (٣٥١٤).

٣- إنقاذ المستضعفين من المسلمين

ومن مقاصد الجهاد في سبيل الله إنقاذ المستضعفين من المسلمين، وإن مبادئ الحق لا بد أن تسندها القوة، وإن الشواهد التاريخية تؤكد إحترام الحق الذي تحرسه القوة وأهله، وظهور هيبتهم على أعدائهم، مما يؤدي إلى دخول الناس في دين الله أفواجاً، ولهذا نزلت آيات تحث المؤمنين على نصرة المستضعفين من المسلمين، ولا يتصور النصرة من ضعيف غير قادر، ومن هذه الآيات قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾[٤٢].

إن هذه الآية فيها حث للمؤمنين على نصرة إخوانهم في الدين، الذين (غلبتهم عشائرهم على أنفسهم بالقهر لهم، وآذوهم، ونالوهم بالعذاب والمكاره في أبدانهم ليفتنوهم عن دينهم، فحضَّ الله المؤمنين على استنقاذهم من أيدي من قد غلبهم على أنفسهم من الكفار، فقال لهم: وما شأنكم لا تقاتلون في سبيل الله، وعن مستضعفي أهل دينكم وملتكم الذين قد استضعفهم الكفار فاستذلوهم ابتغاء فتنتهم وصدِّهم عن دينهم؟)[٤٣].

لقد أصبحت هذه النصرة (على هذا الوجه من باب القتال والذب عن عيلاتكم وأولادكم ومحارمكم، لا من باب الجهاد الذي هو الطمع في الكفار، فإنه وإن كان فيه فضل عظيم ويلام المتخلف عنه أعظم اللوم، فالجهاد الذي فيه استنقاذ المستضعفين منكم أعظم أجرًا وأكبر فائدة، بحيث يكون من باب دفع الأعداء)[٤٤].

٤- تنقية الصف الإسلامي

ومن مقاصد الجهاد في سبيل الله تصفية المجتمع من الدخلاء، لأن الجهاد لا يتحمل مشاقه إلا الصادقون، وعن هذا التميز يخبر الله بقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[٤٥]. ودون النظر فيمن نزلت فيهم هذه الآية[٤٦]، فإن مدلولها يحقق هدف مشروعية الجهاد في سبيل الله تعالى، وأن نرى في

---

(٤٢) سورة النساء- (٧٥).

(٤٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري -٢٢٤/٧.

(٤٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- السعدي - ١٥١.

(٤٥) سورة النساء- (٧٧).

(٤٦) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري- ٢٣٠/٧. وتفسير القرآن العظيم- ابن كثير- ٣١٥/٢. وفتح القدير - الشوكاني- ٤٨٨/١.

هذه (تصويراً منفراً للمبطئين يبدو فيه سقوط الهمة؛ وحب المنفعة القريبة؛ والتلون من حال إلى حال، حسب اختلاف الأحوال! وكذلك نرى التعجيب من حال أولئك الذين كانوا شديدي التحمس في مكة للقتال، فلما كتب عليهم في المدينة عراهم الجزع)[٤٧].

وقد جاء ذكر أنموذج في القرآن الكريم مما يدل على تحقيق هذا الهدف من الجهاد في سبيل الله، كقوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[٤٨]. ومن أمثلة التميز في القرآن، قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[٤٩]. فحينما تحزبت الأحزاب على غزو الرسول ﷺ، ظهر في المجتمع المدني صورة الصادقين الذين قال الله فيهم ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[٥٠] وأما الصورة الثانية فهي الآية السابقة، ولم يظهر هذا التميز إلا بعد أن حضر الابتلاء من مجاهدة الكفار.

٥- تربية المسلمين

سبق بيان أن الجهاد يعني بذل الوسع والجهد والطاقة، فهو من الأعمال البدنية والمالية، للتعبد لله تعالى فيها، ومن حكم مشروعيته أن يتربى المسلم المجاهد على معاني عظيمة، منها:

أ) **التربية على الطاعة**: فإن المجاهد هو الذي يسير تحت راية إمام مسلم، ولا يجوز أن يخرج عن هذه الراية ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[٥١]. ومن هدي النبي ﷺ في الغزوات التأكيد على طاعة الأمير، فقال (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا، وإن قال بغيره فإن عليه منه)[٥٢].

ب) **التربية على البذل والعطاء**: إن خير ما ينفقه المسلم من ماله هو ما كان في سبيل الله تعالى، ولا يتصور أن يكون كريماً ببدنه، بخيلاً بماله، ولهذا جاء تقديم المال في النفقة على النفس في كثير من

---

(٤٧) في ظلال القرآن -سيد قطب- ٢/٧٠٠- دار العلم للطباعة والنشر- جدة- ط:١٢- ١٤٠٦هـ

(٤٨) سورة محمد- (٢٠).

(٤٩) سورة الأحزاب- (١٣).

(٥٠) سورة الأحزاب- (٢٢).

(٥١) سورة محمد- (٢١)

(٥٢) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب يقاتل من وراء الإمام- رقم (٢٧٣٧).

الآيات، كقوله تعال ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٥٣].

ومن إكرام الله أن ما ينفق في الجهاد فهو مدخر لصاحبه عند الله تعالى ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٥٤] وقال الرسول ﷺ: (من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا)[٥٥].

ج) التربية على الصبر وتحمل المشاق: والثبات على المبدأ، وغير ذلك من الفوائد التربوية، فإن الركون إلى الراحة والدعة وعدم ممارسة الشدائد والصعاب تورث العبد ذلاً وخمولاً وتشبثاً بمتاع الحياة الدنيا، والجهاد يصقل النفوس ويربيها[٥٦]. وقد عاتب الله أهل الإيمان بالإخلاد إلى الأرض وترك الجهـــاد، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾[٥٧].

د) التربية على إستفراغ الطاقة فيما يفيد الأمة: إن من طبيعة العامل البشري حب الاستعلاء على الغير، وإظهار القوة، ولا يمكن كبح هذه الفطرة إلا بتفريغها فيما يفيد، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾.[٥٨] قال ابن كثير عن هذه الآية: (لولا أنه يدفع عن قوم بقوم، ويكشفُ شَرّ أناس عن غيرهم، بما يخلقه ويقدره من الأسباب، لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف)[٥٩].

وقد أمر الله بالإعداد والتدريب للجهاد فقال: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾.[٦٠] وكان الرسول ﷺ يحث الصحابة على التعلم والتدريب، ويشارك أصحابه في ذلك: قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه مر النبي ﷺ على نفر من أسلم

---

(٥٣) سورة التوبة- (٤٤).

(٥٤) سورة التوبة- (١٢١).

(٥٥) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب من جهز غازياً فقد غزا- رقم (٢٦٣١).

(٥٦) انظر: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية- علي العلياني. والجهاد في سبيل الله حقيقة وغايته- عبدالله القادري.

(٥٧) سورة التوبة- (٣٨).

(٥٨) سورة الحج- (٤٠).

(٥٩) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير- ٤١٣/٥.

(٦٠) سورة الأنفال- (٦٠).

ينتضلون، فقال النبي ﷺ: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا، ارموا وأنا مع بني فلان)، قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: (ما لكم لا ترمون) قالوا: كيف نرمي وأنت معهم، قال النبي ﷺ: (ارموا فأنا معكم كلكم)[٦١].

المطلب الثاني: أبرز مسائل توحيد الألوهية في آيات الجهاد

إن توحيد العبادة هو تكاليف عملية في الفعل أو الترك، وهذا النوع من التوحيد هو الذي بعث الله من أجله الرسل، وأنزلت الكتب، وأقيمت من أجله الحروب، قال تعالى عن دعوة الرسل ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾[٦٢].

إن أساس توحيد الألوهية: هو (عبادته وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وفعل ما يحبه ويرضاه، وهو ما أمر الله به ورسوله ﷺ أمر إيجاب أو أمر استحباب، وترك ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ)[٦٣].

والسنة النبوية تؤكد هذا المبدأ فلما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن، قال له: (إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم طاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم طاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم..)[٦٤]- الحديث- وبتدبر آيات الجهاد، يظهر للباحث مسائل في توحيد العبادة، منها، ما يلي:

أولاً: المقصد من الجهاد تحقيق التوحيد

لم تتحرك جحافل المؤمنين، ولم ترفع رايات الموحدين، من أجل متاع الدنيا الزائلة، والمقاصد الدانية، وإنما شرع الجهاد لمطلب عظيم وهو تحقيق التوحيد، والقضاء على الشـــرك وأهله. قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ ﴾[٦٥] قال ابن الجوزي: (ويكون الدين لله) قال ابن عباس: أي: (يخلص له التوحيد)[٦٦].

ففي الآية (الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي أن لا تكون فتنة، وأن يكون الدين لله، وهو الدخول

---

(٦١) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- التحريض على الرمي- رقم (٢٦٨٤).

(٦٢) سورة النحل- (٣٦).

(٦٣) جامع الرسائل- ابن تيمية- ٢/١- دار الفكر.

(٦٤) صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب بعث أبي موسى ومعاذا إلى اليمن- رقم (٤٠٠٠).

(٦٥) سورة البقرة- (١٩٣).

(٦٦) زاد المسير—ابن الجوزي- ٢٠٠/١.

في الإسلام، والخروج عن سائر الأديان المخالفة له، فمن دخل في الإسلام، وأقلع عن الشرك لم يحلّ قتاله)[٦٧].

وقد اتفق المفسرون على أن المراد بـ(الفتنة) في الآية الكريمة هو (الشرك)، و قال الطبري: (وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة = يعني: (حتى لا يكون شركٌ بالله، وحتى لا يُعبد دونه أحدٌ، وتضمحلَّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكونَ العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان)[٦٨].

إن إعلاء كلمة الله، قد لا يتحقق بالمعاهدات والمكاتبات، أو بالوسائل السلمية، لأسباب يضعها المانع من دعوة الناس للإسلام، فيلزم حينئذ الجهاد في سبيل الله، بضوابطه الشرعية، وآدابه وأحكامه المرعية.

ومما ثبت في السنة ما يدل على مقصد الجهاد إعلان التوحيد وإقراره، قول الرسول ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[٦٩].

لقد فقه الصحابة رضي الله عنهم الهدف العظيم من مشروعية الجهاد في سبيل الله، وكان حاضراً في حسهم أثناء المعارك ومنازلة المشركين، فعن جبير بن حية قال (فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفا فقام ترجمان فقال ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة سل عما شئت قال ما أنتم قال نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد نمص الجلد والنوى من الجوع ونلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيا من أنفسنا نعرف أباه وأمه فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ومن بقي منا ملك رقابكم)[٧٠].

ثانياً: الدعاء والإلتجاء إلى الله تعالى

سؤال الله تعالى يعني كمال الخضوع والتذلل والعبودية للخالق سبحانه وتعالى، كما يعني كمال الملك والقدرة والغنى لله تعالى. ولهذا حصر النبي ﷺ العبادة في الدعاء، فعند قوله تعالى (ادعوني أستجب

---

(٦٧) فتح القدير- الشوكاني- ١٩٢/١- دار عالم الكتب- بيروت..

(٦٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري - ٣٠١/٣.

(٦٩) صحيح البخاري- كتاب الإيمان–باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة- رقم (٢٤).

(٧٠) صحيح البخاري- كتاب الجزية–باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب- رقم (٢٩٢٥).

لكم) قال ﷺ: الدعاء هو العبادة وقرأ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾[٧١].

وقد علم النبي ﷺ هذا النوع من التوحيد، فقد قال لابن عباس: (يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)[٧٢] ومن آيات الجهاد التي ذكرت هذه العبادة، قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٧٣].

إن الاستغاثة تعني طلب الغوث وهو التخليص من الشدة والنقمة والعون، وهو ما وقع للمسلمين في غزوة بدر، فلما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه، (اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه..)[٧٤].

إن من حقائق التوحيد الاعتراف بوحدانيته تعالى، والتعرف إلى الله في السراء والضراء، واللجوء إليه في كل الأحوال، فعندما تتلاقى الصفوف، ويكثر الصخب والهرج، جاء الأمر الإلهي بدعائه ومسألته بذل وخضوع، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾[٧٥].

وقد قال قتادة في هذه الآية: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون عند الضرب بالسيوف[٧٦]. وأثناء المنازلة يغيب كل شيء إلا ذكره وتعظيمه، قال الشاعر:

ذكرتك والخطي يخطر بيننا
وقد نهلت فينا المثقفى السمر[٧٧]

---

(٧١) سنن الترمذي- كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة البقرة- رقم (٢٨٩٥) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. والآية سورة غافر- (١٠).

(٧٢) سنن الترمذي- كتاب صفة القيامة والرقائق- باب منه رقم (٢٤٤٠) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح

(٧٣) سورة الأنفال- (٩).

(٧٤) صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير- باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر- رقم(٣٣٠٩).

(٧٥) سورة الأنفال- آية (٤٥).

(٧٦) أضواء البيان- الشنقيطي- ٤١٣/٢.

(٧٧) تفسير البحر المحيط-أبو حيان الأندلسي-٦٧/٢-دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان- ط:١- ١٤١٣هـ. وانظر: مغني اللبيب عن تكتب الأغاريب-ابن هشام- ٤٢٦/٢- المكتبة العصرية-صيدا-بيروت- ١٤٠٧هـ

ففي الآية السابقة تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء. والتعلق به دون سواه، وهذا ما أوصى به الرسول ﷺ أصحابه فقال (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قام النبي ﷺ وقال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)[٧٨].

ثالثاً: الصبر من التوحيد

عرف العلماء الصبر بأنه حبس النفس عن الجزع، والمقصود من ذكر الصبر من مسائل التوحيد فإن الصبر من المقامات العظيمة، والعبادات الجليلة التي تكون في القلب وفي اللسان وفي الجوارح، وحقيقة العبودية لا تثبت إلا بالصبر؛ لأن العبادة أمر شرعي، أو نهي شرعي، أو ابتلاء، بأن يصيب الله العبد بمصيبة قدرية فيصبر عليها.

ولمكانة الصبر من التوحيد فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، من لا صبر له لا إيمان له)[٧٩] وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله)[٨٠].

وقد جاءت ذكر الصبر في آيات الجهاد في عدد من الحالات الجهادية، ومن هذه المراحل:

١- الصبر في مرحلة الاستعداد والتجهيز للقتال: أمر الله تعالى بالصبر في هذه المرحلة، بقوله ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٨١]. وقد يكون السبب بالأمر بالصبر في مرحلة التجهيز للجهاد، لأن (العناية تتجه أولاً إلى بناء هذا المجتمع من داخله. بناء عقيدته وتصوراته، وأخلاقه ومشاعره، وتشريعاته وأوضاعه، إلى جانب تعليم الجماعة المسلمة كل شيء عن طبيعة أعدائها، ووسائلهم، وتحذيرها من كيدهم ومكرهم، وتوجيهها إلى المعركة معهم بقلوب مطمئنة، وعيون

---

(٧٨) صحيح البخاري- كتاب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار-برقم (٢٧٤٤).

(٧٩) كتاب الإيمان- ابن أبي شيبة- ١٣٠- دار الأرقم- الكويت- ١٣٨٥هـ. وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة- اللاكائي- ٨٤٢/٤- برقم (١٥٦٩)- دار طيبة- الرياض. وعدة الصابرين= = وذخيرة الشاكرين- ابن القيم- ٥٧- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(٨٠) صحيح البخاري- كتاب الإيمان- باب بني الإسلام على خمس. ذكره تعليقاً، قال ابن حجر في الفتح- ٤٨/١: هذا التعليق طرف من أثر أوصله الطبراني (٨٥٤٤) والبيهقي في شعب الإيمان- ٢٨/١ بسند صحيح. وانظر: تغليق التعليق على صحيح البخاري- سعيد عبدالرحمن القزقي - ٢١/٢- المكتب الإسلامي- بيروت- ط:١- ١٤٠٥هـ

(٨١) سورة آل عمران- (١٢٠).

مفتوحة، وإرادات محشودة، ومعرفة بطبيعة المعركة وطبيعة الأعداء.

لقد كان القرآن يخوض المعركة بالجماعة المسلمة حيث ينشى ء فيها عقيدة جديدة، ومعرفة بربها جديدة، وتصوراً للوجود جديداً، ويقيم فيها موازين جديدة، وينشىء فيها قيماً جديدة؛ ويستنقذ فطرتها من ركام الجاهلية؛ ويمحو ملامح الجاهلية في النفس والمجتمع؛ وينشىء ويثبت ملامح الإسلام الوضيئة الجميلة . . ثم يقودها في المعركة مع أعدائها المتربصين بها في الداخل والخارج . . اليهود والمنافقين والمشركين . . وهي على أتم استعداد للقائهم ، والتفوق عليهم؛ بمتانة بنائها الداخلي الجديد : الاعتقادي والأخلاقي والاجتماعي والتنظيمي سواء.

ولقد كان التفوق الحقيقي للمجتمع المسلم على المجتمعات الجاهلية من حوله - بما فيها مجتمع اليهود القائم في قلب المدينة - هو تفوقه في البناء الروحي والخلقي والاجتماعي والتنظيمي - بفضل المنهج القرآني الرباني - قبل أن يكون تفوقاً عسكرياً أو اقتصادياً أو مادياً على العموم!

بل هو لم يكن قط تفوقاً عسكرياً واقتصادياً - مادياً - فقد كان أعداء المعسكر الإسلامي دائماً أكثر عدداً، وأقوى عدة، وأغنى مالاً، وأوفر مقدرات مادية على العموم سواء في داخل الجزيرة العربية، أو في خارجها في زمن الفتوحات الكبرى بعد ذلك)[٨٢].

٢- مرحلة المنازلة والقتال: جاء ذكر الصبر أثناء مقاتلة الكفار، قال تعالى ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[٨٣]. وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴾[٨٤]. ففي هذه الآيات أمر من الله تعالى لعباده المجاهدين أن يصبروا أثناء منازلة الكفار، (فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا .. وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم)[٨٥].

٣-مرحلة ما بعد الحرب: إن آثار الحرب الجسدية والنفسية بعد نهاية المعركة قد تكون أعظم من أثناء القتال، ولذا أكدت آيات الجهاد على المجاهدين التزام الصبر والتقوي به بعد نهاية المعركة، كما قال تعالى ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[٨٦]. قال ابن كثير:

---

(٨٢) في ظلال القرآن -سيد قطب- ١/٤٤٧. وانظر: = تفسير القرآن العظيم - ابن كثير- ٢/٨٨.

(٨٣) سورة البقرة- (٢٥٠).

(٨٤) سورة الأنفال- (٤٥).

(٨٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير- ٤/١٤.

(٨٦) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- ٤/٥٣٤.

(تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأن ذلك إنما ينال بمشيئة الله وإعانته، وحوله وقوته)[٨٧].

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٨٨]. ففي الآية الحث على الصبر والمصابرة، و(إنما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم، حتى يظفرهم الله بهم، ويعلي كلمته، ويخزي أعداءهم، وأن لا يكن عدوّهم أصبر منهم)[٨٩].

ومن معاني الصبر بعد القتال المرابطة والتي تعني إلزام النفس وحبسها على متابعة تحركات العدو، وأصله من مرابطة الخيل، أي (ارتباطها بازاء العدو في بعض الثغور)[٩٠] وجاء في فضل المرابطة قول النبي ﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها)[٩١].

رابعاً: التوكل والثقة بالله تعالى

عرف العلماء التوكل على الله تعالى بأنه حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فيوجب له اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وطمأنينة به وثقة به، ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه[٩٢].

وهذه المعاني في تعريف التوكل هي من أساس أعمال القلوب، ولهذا أصبح التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، (وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.

وأن يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو

---

(٨٧) سورة النحل- (١٢٧).

(٨٨) سورة آل عمران- (٢٠٠).

(٨٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري- ٣٣٦/٦.

(٩٠) تهذيب اللغة -الأزهري- مادة : (ربط)- ٣٣٨/١٣- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر- ١٣٨٣هـ.

(٩١) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب فضل رباط يوم في سبيل الله- رقم الحديث (٢٦٧٨) وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- = محمود الألوسي- ١٧٥/٤- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- ط:٤- ١٤٠٥هـ.

(٩٢) مدارج السالكين- ابن القيم- ٣٤٩/٢- تحقيق عبدالعزيز الجليل- دار طيبة- الرياض- ط: الأولى- ١٤٢٣هـ

مشرك ، ومن توكل على غير الله ، وتعلق به ، وكل إليه وخاب أمله)[٩٣].

ولقد جاءت آيات الجهاد في كتاب الله مقررة لهذا المعتقد، قال تعالى ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[٩٤].

إن المؤمنين أولى بالتوكل على الله من غيرهم، وخصوصا في مواطن الشدة والقتال، فإنهم مضطرون إلى التوكل والاستعانة بربهم والاستنصار له، والتبري من حولهم وقوتهم، والاعتماد على حول الله وقوته، فبذلك ينصرهم ويدفع عنهم البلايا والمحن، ولهذا أخبر الله عن حال العبد إذا جعل الله وكيله، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ﴾[٩٥] وقال ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٩٦].

ومن أبرز ثمرات التوكل على الله، التي ورد ذكره في آيات الجهاد ما يلي:

١- كفاية الله للمتوكل جميع شئونه: وهذه الثمرة من مفهوم قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ قال ابن مسعود: (إن أكبر آية في القرآن تفويضاً: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)[٩٧]. ومن كفاية الله بعباده المؤمنين، ما أخبر الله بما وقع للصحابة من أراجيف وأقاويل، قال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٩٨]. فلما توكلوا على الله، وأصبح لهم حسيبا، كان مآل التهديد والوعيد﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[٩٩]. (لما فَوّضوا أمورَهم إليه، واعتمدوا بقلوبهم عليه، أعطاهم من الجزاء أربعَة معانٍ: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضا. فرضَّاهم عنه، ورضِي عنهم)[١٠٠].

٢- التوكل يعصم المؤمن من الانتكاس: وبعد توفيق الله وفضله، كان التوكل عليه سبحانه من ثمرات ثبات الصحابة في غزوة أحد، قال تعالى ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[١٠١]. وقال جابر رضيَ اللهُ عنه

---

(٩٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد- السعدي- ٢١٠- وانظر: كتاب التوكل على الله تعالى- عبدالله الدميجي- دار الوطن- ط:٢- ١٤٢١هـ

(٩٤) سورة آل عمران- (١٢٢).

(٩٥) سورة النساء- (٨١).

(٩٦) سورة الطلاق- (٣).

(٩٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري- ٤٧/٢٣

(٩٨) سورة آل عمران- (١٧٣).

(٩٩) سورة آل عمران- (١٧٤).

(١٠٠) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ٢٨٢/٤.

(١٠١) سورة آل عمران- (١٢٢).

نزلت هذه الآية فينا: ﴿إذا همتْ طائفتانِ منكم ان تَفشَلا﴾ بني سَلِمةَ وبني حارثة، وما أحِبُّ أنَّها لم تَنزل واللهُ يقول: ﴿واللهُ وليّهما﴾[١٠٢].

فبعد مشاورة النبي ﷺ لأصحابه في طريقة القتال في غزوة أحد، وأخذ ﷺ برأي الشباب وممن فاتهم شرف القتال في غزوة بدر، ولم يأخذ بالقول الذي يؤيده ابن أبي سلول وهو القتال داخل المدينة، رجع ابن أبي سلول بمن معه من أهل النفاق، فهمت قبيلتا بني سلمة وبني الحارث أن تتبعا ابن أبي سلول، فعصمهما الله، وتوكلا على الله ونالا درجة الولاية. فهذه من ثمرات التوكل على الله تعالى.

ومما يدل على أن التوكل على الله يحفظ العبد من الزلل قوله تعالى﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[١٠٣]. لا تطعهم فيما يشيرون عليك من المداهنة في الدين ولا تمالئهم. وأمره بالتوكل عليه وآنسه وفي قوّة الكلام وعدٌ بنصر[١٠٤].

٣-الصبر على الأذى والابتلاء: من ثمرات التوكل في آيات الجهاد الصبر على الأقدار الكونيـــــة والشـــرعية، كما قال تعالى ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١٠٥] إن الأنفاس معدودة، والآجال مكتوبة، فإن الإنسان إذا علم أن ما قدّره الله كائن، وأن كل ما ناله من خير أو شرّ إنما هو بقدر الله وقضائه، هانت عليه المصائب، ولم يجد مرارة شماتة الأعداء وتشفي الحسدة لأن الله ﴿هُوَ مولانا﴾ أي: (ناصرنا وجاعل العاقبة لنا، ومظهر دينه على جميع الأديان، ومن حق المؤمنين أن يجعلوا توكلهم مختصاً بالله سبحانه، لا يتوكلون على غيره)[١٠٦].

وبتحقيق التوكل تحت وطأة الأذى، دليل على قوة اليقين والثقة بالله، لأن (المؤمن إذا اطمأن إلى حكمه الكوني: علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له وأنه ما يشاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا وجه للجزع والقلق إلا ضعف اليقين والإيمان فإن المحذور والمخوف: إن لم يقدر فلا سبيل إلى وقوعه وإن قدر فلا سبيل إلى صرفه بعد أن أبرم تقديره فلا جزع حينئذ لا مما قدر ولا مما لم يقدر)[١٠٧].

خامساً: التحذير من نقص أو نقض الأعمال

بينت آيات الجهاد مسألة مهمة من مسائل توحيد العبادة وهي مسألة التحذير من نقص أو نقض العمل، بسبب فعل أو اعتقاد مما يوجب ذلك، ومن هذه الآيات

---

(١٠٢) صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب (إذا همتْ طائفتانِ منكم ان تَفشَلا)- رقم (٣٧٤٥).

(١٠٣) سورة الأحزاب- (٤٨).

(١٠٤) نظر: الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ٢٠١/١٤

(١٠٥) سورة التوبة- (٥١).

(١٠٦) انظر: فتح القدير –الشوكاني- ٣٦٨/٢.

(١٠٧) مدارج السالكين- ابن القيم- ٣٤٩/٢.

قوله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[١٠٨].

إن دلالة هذه الآية والمقصود منها أن الله تعالى أعلمهم أنهم لا يغلبون بكثرتهم، وإنما يغلبون بنصر الله، فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين، وهي مؤكدة على مبدأ تجريد القلب لله تعالى، وعدم الالتفاف إلى غيره، وأن الحول والقوة لا تكون إلا به سبحانه وتعالى. وهذا ما وقع للرسول ﷺ وأصحابه في غزوة حنين، حينما قال بعض الناس من المسلمين لما رأى كثرة المسلمين (لن نغلب اليوم من قلة)[١٠٩].

كما جاء التحذير الإلهي في آيات الجهاد أن يتشابه مقصد المؤمنين في الجهاد بمقاصد الكفار في القتال، قال تعالى ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[١١٠].

ذكر الله وصف حال خروج الكفار في غزوة بدر، تعليماً وتربية للمسلمين، (ليبقى هذا التعليم يحمي العصبة المؤمنة من أن تخرج للقتال متبطرة طاغية تتعاجب بقوتها! وتستخدم نعمة القوة التي أعطاها الله لها في غير ما أرادها، والعصبة المؤمنة إنما تخرج للقتال في سبيل الله؛ تخرج لتقرير ألوهيته سبحانه في حياة البشر، وتقرير عبودية العباد لله وحده. وتخرج لإعلان تحرير « الإنسان » في « الأرض » من كل عبودية لغير الله، تستذل إنسانية الإنسان وكرامته. وتخرج لحماية حرمات الناس وكراماتهم وحرياتهم، لا للاستعلاء على الناس واستعبادهم والتبطر بنعمة القوة باستخدامها هذا الاستخدام المنكر. وتخرج متجردة من حظ نفسها في المعركة جملة، فلا يكون لها من النصر والغلب إلا تحقيق طاعة الله في تلبية أمره بالجهاد؛ وفي إعلاء كلمته في الأرض؛ وفي التماس فضله بعد ذلك ورضاه.

ولقد كانت صورة الخروج بطراً ورئاء الناس وصدا عن سبيل الله حاضرة أمام العصبة المسلمة؛ يرونها في خروج قريش بالصورة التي خرجت بها؛ كما كانت صورة العاقبة لهذا الخروج حاضرة فيما أصاب قريشاً التي خرجت في ذلك اليوم بفخرها وكبريائها تحاد الله ورسوله: وعادت في آخر اليوم بالذل والخيبة والهزيمة، وكان الله سبحانه يذكر العصبة المسلمة بشيء حاضر له وقعه وله إيحاؤه)[١١١].

---

(١٠٨) سورة التوبة- (٢٥).

(١٠٩) انظر: سيرة النبي ﷺ- ابن هشام- ٧٣/٤. والمغازي-الواقدي-٨٨٩/٣- عالم الكتب، بيروت- ط:٣-١٤٠٤هـ.وتاريخ الإسلام-الذهبي- ٤٧٧/١- دار الكتاب المصري-القاهرة ط:١- ١٤٠٥هـ

(١١٠) سورة الأنفال- (٤٧).

(١١١) في ظلال القرآن -سيد قطب- ١٥٢٩/٣. وانظر: سيرة ابن هشام- ٢٥٨/٢.

وقد حذر النبي ﷺ من العجب في المعارك، فعن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الغزو غزوان فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخرا، ورياء وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لم يرجع بالكفاف)[١١٢]. وأما ذم العجب فقد قال ﷺ: (لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أشد من ذلك " العجب)[١١٣].

ولخطورة العجب وأثره في قبول الأعمال فقد تناقل سلف الأمة التحذير منه، فمن أقوالهم (يرون مجانبة البدعة، والآثام، والفخر، والتكبر، والعجب..)[١١٤].

سادساً: خطورة الردة عن الدين

لقد أثنى الله على أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم بقوله ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[١١٥]. فما بدلوا وما غيروا، وإنما (أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضرّاء، وحين البأس، فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أُحد، وبعض في غير ذلك من المواطن، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوّه)[١١٦].

وهذا الإطراء في حق الصحابة، يعني التحذير من التغيير والتبديل، كما جاء في آيات الجهاد كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[١١٧]. ففي هذه الآية إخبار وتحذير، أما الإخبار فهو أن هؤلاء الكفار لا يزالون مستمرين على قتالكم، وعداوتكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا ذلك، وبينت آية من كتاب الله

---

(١١٢) سنن أبي داود- كتاب الجهاد- باب في من يغزو يلتمس الدنيا- رقم(٢١٥٤).

(١١٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٤٥٣/٥- رقم (٧٢٥٥). ورواه البزار كما في كشف الأستار كتاب الزهد- ٢٤٤/٤- رقم (٣٦٣٣) وقال الألباني: حديث حسن- صحيح الجامع- رقم (٥٣٠٣).

(١١٤) كتاب اعتقاد أهل السنة- أبوبكر الإسماعيلي-٥٣- دار الريان-الإمارات العربية المتحدة-الفجيرة — ط:١- ١٤١٣هـ.

(١١٥) سورة الأحزاب- (٢٣)..

(١١٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري - ٦١/١٩.

(١١٧) سورة البقرة (٢١٧).

يأس الكفار من ذلك، كما قال ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾[١١٨].

أما التحذير فهو الرجوع عن الإيمان إلى الكفر، ففي الآية تهديد للمسلمين ليثبتوا على دين الإسلام. ومعنى قوله: (في الدنيا والآخرة) أنه لا يبقى له حكم المسلمين في الدنيا، فلا يأخذ شيئاً مما يستحقه المسلمون، ولا يظفر بحظ من حظوظ الإسلام، ولا ينال شيئاً من ثواب الآخرة الذي يوجبه الإسلام، ويستحقه أهله[١١٩].

ولما وقع من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، بشأن إخبار قريش على عزم الرسول ﷺ لفتح مكة، وتم منع وصول رسول حاطب إلى قريش، وأحضر الخطاب للرسول ﷺ فقال لحاطب: ما حملك يا حاطب على ما صنعت؟ قال: ما بي إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله، وما غيرت ولا بدلت، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله، قال: صدق فلا تقولوا له إلا خيرا)[١٢٠]. لم يعاتبه الرسول ﷺ بسبب صدقه، وعلمه بأنه كما قال: (ما غير ولا بدل). وفي رواية مسلم، أن حاطباً رضي الله عنه قال: (ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام)[١٢١].

إن الوقوف أمام هذا الحادث وما دار بشأنه لا يخرج بنا عن « ظلال القرآن » والتربية به وبالأحداث والتوجيهات والتعقيبات عن طريق رسول الله ﷺ القائد المربي العظيم، وأول ما يقف الإنسان أمامه هو فعلة حاطب، وهو المسلم المهاجر، وهو أحد الذين أطلعهم رسول الله ﷺ، على سر الحملة، وفيها ما يكشف عن منحنيات النفس البشرية العجيبة، وتعرض هذه النفس للحظات الضعف البشري مهما بلغ من كمالها وقوتها؛ وأن لا عاصم إلا الله من هذه اللحظات فهو الذي يعين عليها.

ثم يقف الإنسان مرة أخرى أمام عظمة الرسول ﷺ، وهو لا يعجل حتى يسأل: «ما حملك على ما صنعت» في سعة صدر وعطف على لحظة الضعف الطارئة في نفس صاحبه، وإدراك ملهم بأن الرجل قد صدق، ومن ثم يكف الصحابة عنه: «صدق لا تقولوا إلا خيراً » ليعينه وينهضه من عثرته، فلا يطارده بها ولا يدع أحداً يطارده[١٢٢].

---

(١١٨) سورة المائدة- (٣).

(١١٩) انظر: فتح القدير- الشوكاني- ٨/٢- (بتصرف)

(١٢٠) صحيح البخاري- كتاب الاستئذان- باب من نظر في كتاب من يحذر- رقم (٥٧٨٩).

(١٢١) صحيح مسلم فضائل الصحابة- كتاب- باب من فضائل أهل بدر- رقم (٤٥٥٠).

(١٢٢) في ظلال القرآن –سيد قطب- ٣٥٣٦/٦.

المطلب الثالث: أبرز مسائل توحيد الربوبية في آيات الجهاد

يقصد بتوحيد الربوبية أن يعتقد العبد بأن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، الذي ربى جميع الخلق بالنعم وربى خواص خلقه- وهم الأنبياء وأتباعهم- بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين(١٢٣).

وهذا النوع من التوحيد قد أقر به الكفر، كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (١٢٤). وكما اعترفوا بأن الخالق والمسخر هو الله، فكذلك أقروا واعترفوا بأنه منزل الغيث، كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(١٢٥).

وقد بينت بعض آيات الجهاد مبادئ توحيد الربوبية لله تعالى، والمراد من هذا المبحث بيان أمثلة من آيات الجهاد التي ينص فيها على مبادئ توحيد الربوبية، وأما تعريف التوحيد وأمثلته وما يستلزم الإيمان به، وغير ذلك من مباحث الاعتقاد فإن مجال هذه المباحث في كتب العقيدة والتوحيد.

ومن أبرز مسائل توحيد الربوبية في آيات الجهاد، ما يلي:

أولاً: الاعتقاد بأن النصر والغلبة من الله

كما قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١٢٦).

وقد جاء ذكر (النصر) و(التأييد) ضمن آيات الجهاد مقررة مبدأ أن الناصر والمعين هو الله تعالى، فدلت الآية على أن (نصركم إن كان إنما يكون بالله وبعونه ومعكم من ملائكته خمسة آلاف، فإنه إلى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته إياكم على عدوّكم، وإن كان معكم من البشر جموع كثيرة أخرى، فاتقوا الله واصبروا على جهاده عدوّكم، فإن الله ناصركم عليهم)(١٢٧).

فالله سبحانه هو الناصر إذا نصر العبد دينه وكتابه، كما قال تعالى ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ

---

(١٢٣) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد -السعدي- ٤٢.

(١٢٤) سورة العنكبوت- (٦١).

(١٢٥) سورة العنكبوت- (٦٣).

(١٢٦) سورة الأنفال- (١٠).

(١٢٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري- ٥٩/١١.

وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[١٢٨] إن مما تبينه هذه الآية تأييد الله لعباده، وأنه سبحانه (إن ينصركم أيها المؤمنون بالله ورسوله، على من ناوأكم وعاداكم من أعدائه، والكافرين به، فلا غالب لكم من الناس، يقول: فلن يغلبكم مع نصره إياكم أحد، ولو اجتمع عليكم من بين أقطارها من خلقه، فلا تهابوا أعداء الله لقلة عددكم، وكثرة عددهم، ما كنتم على أمره، واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله، فإن الغلبة لكم والظفر دونهم)[١٢٩]. فله سبحانه الغلبة والقوة.

ثانياً: إنزال النوم على المجاهدين

من معاني توحيد الربوبية أن الأنفس بيده سبحانه قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١٣٠]. (وهذا الكلام وإن كان خبرا من الله تعالى عن قدرته وعلمه، فإن فيه احتجاجا على المشركين به الذين كانوا ينكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم، فقال تعالى محتجًّا عليهم، فالذي يقبض أرواحكم بالليل ويبعثكم في النهار، لتبلغوا أجلاً مسمّى وأنتم تَرَوْن ذلك وتعلمون صحته، غير منكر له القدرة على قبض أرواحكم وإفنائكم ثم ردّها إلى أجسادكم وإنشائكم بعد مماتكم)[١٣١].

وهذه القدرة الإلهية وقعت على أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنه في غزوة بدر قال تعالى ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾[١٣٢]. وقال عليّ رضي الله عنه: (ما كان فينا فارس يوم بدر غير المِقْدَادَ على فرس أبْلَقَ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح)[١٣٣].

وتكررت هذه العناية والقدرة في غزوة أحد قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾[١٣٤]. ففي هذه الآية ألقى المالك المتصرف النعاس على المجاهدين، إلقاء أمنة، فتفضل الله تعالى على المؤمنين بعد هذه الغموم في يوم أُحُد بالنعاس حتى نام أكثرهم؛ وإنما ينعس من يأمن

(١٢٨) سورة آل عمران- (١٦٠).

(١٢٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري- ١٩٢/٦.

(١٣٠) سورة الأنعام- (٦٠).

(١٣١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري- ٢٨٧/٩.

(١٣٢) سورة الأنفال- (١١).

(١٣٣) دلائل النبوة- البيهقي- رقم (٨٨١)- باب ذكر عدد أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا معه إلى بدر- دار الفكر- بيروت- ١٤١٨هـ.

(١٣٤) سورة آل عمران- (١٥٤).

والخائف لا ينام. وقال أبو طلحة: (غشينا النعاس ونحن في مَصافِّنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه)[١٣٥].

وقال الماوردِيّ: وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان: أحدهما أن قوّاهم بالاستراحة على القتال من الغد. الثاني أن أمَّنَهم بزوال الرعب من قلوبهم؛ كما يقال: الأمنُ مُنِيم، والخوف مُسْهِر)[١٣٦].

ومما يؤكد على أن إنزال النوم على المجاهدين من أفعال الرب، ما وقع للنبي ﷺ وأصحابه في مجيئهم من غزوة تبوك، ثم ناموا حتى طلعت الشمس، فقال النبي ﷺ (إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء)[١٣٧] فالقبض هو سلب الحس والحركة الإرادية لأن النائم كمقبوض الروح في سلبها عنه فهو من قبيل (الله يتوفى الأنفس حين موتها) ولا يلزم من قبض الروح الموت فالموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهرا وباطنا والنوم انقطاعه عن ظاهره فقط[١٣٨].

ثالثاً: تصريف الأمور وتغير الأحوال

من عقيدة أهل التوحيد أن الله تعالى مصرف أمور الخلق، ومغير الأحوال ومبدلها، والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، ومنها قوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١٣٩].

ومن آيات الجهاد ما يدل على هذا المعتقد، كما قال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[١٤٠] أبانت الآية بأن هذه الحياة وما يقع فيها من منازلة بين المسلمين والكافرين، إنما جعلها الله دولاً بين الناس مصرفة، (وذلك أن الله عزّ وجلّ أدال المسلمين من المشركين ببدر، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين، وأدال المشركين من المسلمين بأُحد، فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم)[١٤١].

وهذه المداولة فيها من الفوائد العظيمة على الناس، ومن أبرزها:

---

(١٣٥) صحيح البخاري- كتاب تفسير القرآن- باب قوله (آمنة نعاسا)- رقم الحديث (٤١٩٦).

(١٣٦) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ٣٧١/٧.

(١٣٧) صحيح البخاري- كتاب مواقيت الصلاة-باب – الأذان بعد ذهاب الوقت- رقم (٥٦٠).

(١٣٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري- ابن حجر- ٨٠/٢.

(١٣٩) سورة آل عمران- (٢٦).

(١٤٠) سورة آل عمران- (١٤٠).

(١٤١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري- ٧٩/٦.

الأول: أن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي، فيكون عند الله تشديد المحنة عليه في الدنيا أدباً له، وتطهيراً وتكثيراً ورفعة في الدرجات، وأما تشديد المحنة على الكافر فإنه يكون غضبا من الله عليه.

الثاني: وهو أن لذات الدنيا وآلامها غير باقية وأحوالها غير مستمرة، وإنما تحصل السعادات المستمرة في دار الآخرة، ولذلك فانه تعالى يميت بعد الإحياء، ويسقم بعد الصحة[١٤٢].

ومن هذا التصريف ما وقع في غزوة بدر، قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾[١٤٣] كانت الرغبة البشرية أن يحصلوا على القافلة (غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ) المحملة بالأموال عوضاً عن أموالهم التي سلبها الكفار في مكة، ولكن الرب سبحانه وتعالى صرف الرغبة البشرية، وهو مالك الملك وبيده الأمر كله، إلى العير وهي ذات الشوكة، (وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ) (ويريد الله أن يحقّ الإسلام ويعليه بكلماته، بأمره إياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار، وأنتم تريدون الغنيمة والمال)[١٤٤].

رابعاً: إنزال المطر

من عقيدة توحيد الربوبية أن الله بيده إنزال المطر، كما قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾[١٤٥]. وإنزال الغيث من مفاتيح الغيب التي خصها الله لنفسه، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١٤٦].

وثبت في السنة ما يؤكد هذا المفهوم فعن زيد بن خالد الجهني، أنه قال صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء، كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم)؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)[١٤٧].

ومما دلت عليه آيات الجهاد إنفراد الله بإنزال المطر، كما قال تعالى ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً

---

(١٤٢) انظر: التفسير الكبير- محمد الرازي- ٣٧١/٩- دار إحياء التراث العربي.

(١٤٣) سورة الأنفال- (٧).

(١٤٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن-الطبري-٤٠/١١ وانظر تفاصيل غزوة بدر في سيرة ابن هشام-٢٤٥/٢.

(١٤٥) سورة الشورى- (٢٨).

(١٤٦) سورة لقمان- (٣٤).

(١٤٧) صحيح البخاري- كتاب الآذان- باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم- رقم (٨٠١)

﴿ مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[١٤٨]. وهذا ما وقع للرسول ﷺ وأصحابه في غزوة بدر الكبرى.

إن مجمل ما ذكره المفسرون عن هذه الآية: (إن ذلك مطرٌ أنزله الله من السماء يوم بدر ليطهر به المؤمنين لصلاتهم، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذ مُجْنبين على غير ماء. فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا، وكان الشيطان قد وسوس إليهم بما حزنهم به من إصباحهم مجنبين على غير ماء، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر. فذلك ربطه على قلوبهم، وتقويته أسبابهم، وتثبيته بذلك المطر أقدامهم، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة ميثاء[١٤٩]، فلبَّدها المطر، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها، توطئةً من الله عز وجل لنبيه عليه السلام وأوليائه، أسبابَ التمكن من عدوهم والظفر بهم[١٥٠].

خامساً: الإحياء والإماتة بيد الله

مما تدل عليه آيات الجهاد في مسائل الاعتقاد في جانب توحيد الربوبية، أن الإحياء والإماتة بيد الله تعالى، فلا يملك المخلوق شيئاً منها، فهو الذي يحيي وهو الذي يميت سبحانه وتعالى.

وقد أكدت هذه العقيدة في كثير من آيات الجهاد، من أجل قطع الطمع عند المجاهدين أن ترك الجهاد يؤخر الآجال، وأن الإقدام عليه يسرع في الأجل، ومن هذه الآيات التي تنص على عقيدة الإحياء والإماتة قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[١٥١]. وقال تعالى ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١٥٢].

إن هذه الآية وغيرها كثير في كتاب الله تؤصل بمبدأ عقيدة الربوبية للخالق سبحانه، وأن العبد إذا فر من الموت أو القتل لم يزد فراره ذلك في أعماره وآجاله، بل إنما يمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كتب له، ثم يأتيه ما كتب له وعليه[١٥٣].

---

(١٤٨) سورة الأنفال- (١١).

(١٤٩) اللينة السهلة، قد تسوخ فيها الرجل قليلاً.- لسان العرب- ابن المنظور- مادة (تلع)- ٣٦/٨.

(١٥٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري – ٦١/١١. وانظر: من هدي سورة الأنفال- محمد أمين المصري- دار الأرقم- الكويت- بدون تاريخ الطبع.

(١٥١) سورة آل عمران- (١٤٥).

(١٥٢) الأحزاب- (١٦).

(١٥٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري- ٤٩/١٩.

المطلب الرابع : أبرز مسائل توحيد الأسماء والصفات في آيات الجهاد

لقد وصف الله سبحانه نفسه في كتابه بصفات لا تليق إلا له، كما وصفه رسوله ﷺ في سنته، فصفاته أكمل الصفات، وقد أوضح علماء السلف رحمهم القواعد لضبط صفات الباري، كما سلكوا في إثباتها أقوم الطرق وأسلمها، فلا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف لصفات الله، إنما إثبات كما جاءت(١٥٤).

وفي آيات الجهاد يذكر الله عدداً من صفاته، فمن ذلك:

أولاً: صفة المحبة لله تعالى

القرآن والسنة مملوآن بذكر من يحبه الله سبحانه من الأعيان والأخلاق والأشخاص، وهي من صفات الفعل الاختيارية القائمة به والتي تتعلق بمشيئته، فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة(١٥٥). ومن آيات الجهاد الدالة على صفة المحبة، قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ }(١٥٦) فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان(١٥٧).

ثانياً: صفة اليد لله تعالى

لقد جاء في آيات الجهاد ذكر صفة اليد لله تعالى، كما قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(١٥٨) وصفة اليد لله تعالى من صفات الذات للخالق تعالى، وقد أثبت السلف هذه الصفة لله تعالى بما يليق بجلاله، وبما ورد في كتاب الله كقوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾(١٥٩) وبما ثبت في سنة رسوله ﷺ، وقد ذكر البخاري في صحيحه: (باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي) ثم ذكر بعض النصوص الواردة في ذلك(١٦٠).

---

(١٥٤) انظر: كتاب الأسماء والصفات-ابن تيمية-دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا-دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان-ط:١- ١٤٠٨هـ. ومقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها-جابر إدريس-أضواء السلف- الرياض-ط:١- ١٤٢٢هـ. وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات-مرعي الكرمي-مؤسسة الرسالة-بيروت- لبنان- ط:١-١٤٠٦هـ.

(١٥٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية- هراس- ٢٠. ومدارج السالكين- ابن القيم- ٧٩/١.

(١٥٦) سورة الصف- (٤).

(١٥٧) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير- ١٣١/٨.

(١٥٨) سورة الفتح- (١٠).

(١٥٩) سورة المائدة- (٦٤).

(١٦٠) صحيح البخاري- كتاب التوحيد-باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي. وانظر: اعتقاد أهل السنة-أبوبكر الإسماعيلي-٣٣. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري-عبدالله الغنيمان-٣٠٤/١- مكتبة الدار المدني- المدينة- ط:١- ١٤٠٥هـ.

وقال ابن بطال: (في هذه الآية إثبات يدين لله، وهما صفتان من صفات ذاته)[١٦١].

وقد وصف نفسه ببسط اليدين فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[١٦٢]. ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[١٦٣] وليس اليد كاليد ولا البسط كالبسط ؛ وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء والجود: فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه ولا جوده كجودهم ونظائر هذا كثيرة . فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي مماثلته بخلقه)[١٦٤].

وأما عن أقوال المفسرين في معنى آية الجهاد، فقد قال الطبري: (يد الله فوق أيديهم عند البيعة، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ)[١٦٥]، وهذه البيعة هي بيعة الرضوان فعن معقل بن يسار أنه شهد رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو رافع غصنا من أغصان الشجرة بيده عن رأس رسول الله ﷺ، يبايع الناس فبايعوه على أن لا يفروا وهم يومئذ ألف وأربع مائة)[١٦٦].

ثالثاً: صفة الرضى لله تعالى

ومما ثبت من آيات الجهاد إثبات صفة الرضى لله تعالى، رضى يليق بجلاله وعظمته، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾[١٦٧].

وصفة الرضى لله عند أهل السنة والجماعة: خلاف السخط، وهو صفة من صفاته على ما يعقل من معاني: "الرضى" الذي هو خلاف السخط، وليس ذلك بالمدح، لأن المدح والثناء قولٌ، وإنما يثنى ويمدح ما قد رُضِي. قالوا: فالرضا معنًى، و"الثناء" و"المدح" معنًى ليس به[١٦٨].

ومن رضي الله عنه فهو من خير البرية، بسبب إيمانه، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ❖ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

---

(١٦١) فتح الباري- ابن حجر - ٤٠٥/١٣.

(١٦٢) سورة المائدة- (٦٤).

(١٦٣) سورة الإسراء- (٢٩).

(١٦٤) مجموع فتاوى ابن تيمية- ٢٠٨/١.

(١٦٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري - ٢٥٤/٢١.

(١٦٦) مسند الإمام أحمد- ٢٥/٥.

(١٦٧) سورة الفتح- (١٨).

(١٦٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري- ٢٦٥/٨. انظر: شرح العقيدة الطحاوية- ابن أبي العز الحنفي- ٦٨٥/٢- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط:١- ١٤٠٨

وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[١٦٩] (فهو سبحانه يرضى عن الإنسان ويحبه بعد أن يؤمن ويعمل صالحا؛ وإنما يسخط عليه ويغضب بعد أن يكفر)[١٧٠].

وقد ثبت إثبات صفة الرضى لله تعالى عن العبد بسبب الأعمال الصالحة، كقوله ﷺ: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها)[١٧١]. ففي هذا الحديث يثبت الرسول ﷺ لربه سبحانه وتعالى صفة الرضى، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة لله سبحانه وتعالى من غير تكييف ولا تمثيل[١٧٢].

رابعاً: صفة الكره لله تعالى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[١٧٣] إن دلالة هذه الآية تثبت ما يعتقده أهل السنة والجماعة من إثبات صفة الكره لله تعالى، وأنها من صفات الأفعال التي تليق بجلاله. وجاءت السنة بما دلت عليه الآية، كقول النبي ﷺ: (إن الله كره لكم ثلاثا قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال)[١٧٤]. وقال ﷺ: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)[١٧٥].

خامساً: صفتي السمع والعلم لله تعالى

أثبتت آيات الجهاد صفتا السمع والعلم لله تعالى صفة تليق بجلاله وعظمته، ومن الآيات المثبتة لهاتين الصفتين، قوله تعالى ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١٧٦]. وقال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١٧٧]. وقد جاء ذكرهما في كثير من آيات

---

(١٦٩) سورة البينة- (٧- ٨).

(١٧٠) مجموع فتاوى ابن تيمية- ١٤١/٢. وانظر: شرح العقيدة الواسطية- ٦٠- خليل هراس.

(١٧١) صحيح مسلم- كتاب الذكر والدعاء- باب استحباب حمد الله- رقم (٤٩١٥).

(١٧٢) أصول الإيمان- محمد بن عبدالوهاب- ضمن مجموع مؤلفات الإمام- القسم الأول/٢٢٩.

(١٧٣) سورة التوبة: (٤٦).

(١٧٤) صحيح البخاري- كتاب الزكاة- باب قول الله: لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا - رقم(١٣٨٣).

(١٧٥) صحيح مسلم- كتاب الذكر والدعاء- باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه- رقم (٤٨٤٤) وانظر: شرح العقيدة الطحاوية- ٦٨٦/٢. ولمعة الاعتقاد- ٨- ابن قدامه المقدسي- الأسماء والصفات- ابن تيمية- ٤٦٨/٢- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط:١- ١٤٠٨هـ.

(١٧٦) سورة آل عمران- (١٢١).

(١٧٧) سورة الأنفال- (١٧).

القرآن الحكيم، وثبت ذكرهما في السنة فعن أبي موسى قال كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال: اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، تدعون سميعا بصيرا قريبا..)[١٧٨].

وقد أثبت أهل السنة والجماعة صفتي السمع والعلم بلا تحريف أو تعطيل أو تكييف، بل بمنهج الإقرار والإمرار، (وقد علم بالضرورة من الدين، وثبت في الكتاب والسنة بحيث لا يمكن إنكاره، ولا تأويله أن الباري حي سميع بصير، وانعقد إجماع أهل الأديان بل جميع العقلاء على ذلك)[١٧٩]. ولم يخالف في هذا إلا من تنكب عن الصراط المستقيم، وهم المعتزلة الذين جعلوا من أصولهم الخمسة (التوحيد)، ويعنون به: نفي الصفات عن الخالق سبحانه وتعالى[١٨٠].

قال ابن تيمية: فالسمع والبصر، والحياة، والعلم، والقدرة، والكلام، ونحوها صفات كمال لا نقص فيها، فمن اتصف بها أكمل ممن لا يتصف بها، والنقص في انتفائها لا في ثبوتها بإجماع العقلاء، والقابل للاتصاف بها كالحيوان أكمل ممن لا يقبل الاتصاف بها كالجماد[١٨١].

سادساً: اسم الحسيب لله تعالى

ومما جاء من أسماء الله سبحانه في آيات الجهاد (الحسيب) وذكر في موضعين الموضع الأول قوله تعالى ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٨٢]. وأما الموضع الثاني قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[١٨٣].

والحسيب يعني الكافي والحافظ، كما قال أهل اللغة[١٨٤] وبهذا المفهوم أطلق أسم الحسيب على الله كما قال ابن عباس: (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)[١٨٥].

---

(١٧٨) صحيح البخاري- كتاب التوحيد- باب ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ - برقم (٦٨٣٨)

(١٧٩) إرشاد الساري- القسطلاني- ٣٧٠/١٠

(١٨٠) انظر: شرح الأصول الخمسة- القاضي عبدالجبار- ٣٥٥- ٧٧٨- مكتبة وهبة- مصر- عابدين- ط:٢- ١٤٠٨هـ. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية- ابن أبي العز- ٧٩٣/٢.

(١٨١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية- ٨٨/٦.

(١٨٢) سورة الأنفال- (٦٢)

(١٨٣) سورة آل عمران- (١٧٣)

(١٨٤) النهاية في غريب الأثر -ابن الجزري- باب الحاء مع السين- ٣٨١/١- أنصار السنة المحمدية- لاهور- باكستان. وانظر: لسان العرب -ابن المنظور- مادة (حسب)

(١٨٥) صحيح البخاري- كتاب التفسير- باب (إن الناس قد جمعوا لكم)- رقم (٤١٩٧).

وهي من الصفات التي لا يجوز صرفها لغيره سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾[١٨٦]، فجعل الإيتاء لله والرسول لقوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[١٨٧]. فأمرهم بإرضاء الله ورسوله. وأما في الحسب فأمرهم أن يقولوا (حسبنا الله لا يقولوا: حسبنا الله ورسوله . ويقولوا: ﴿ إنا إلى الله راغبون ﴾ لم يأمرهم أن يقولوا: (إنا لله ورسوله راغبون) فالرغبة إلى الله وحده كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[١٨٨].فجعل الطاعة لله والرسول وجعل الخشية والتقوى لله وحده[١٨٩].

ولما قال أصحاب النبي ﷺ ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ قال الله عنهم: ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمَّهُمْ وَرد عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم، ولم يمسسهم سوء مما أضمر لهم عدوهم[١٩٠].

سابعاً: اسم الولي لله تعالى

ومن أسمائه سبحانه وتعالى الولي، قال تعالى ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١٩١]. ومعنى ولايته سبحانه بأنه هو الذي يليكم بإحسانه وفضله، الحميد بأياديه عندكم، ونعمه عليكم في خلقه)[١٩٢]. ومن آيات الجهاد الوارد فيها اسم الولي قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[١٩٣].﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[١٩٤].

فالله هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته، والتقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات، ويتولى عباده عموما بتدبيره، ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصا، بإخراجهم من الظلمات إلى

---

(١٨٦) سورة التوبة- (٥٩).

(١٨٧) سورة الحشر- (٧).

(١٨٨) سورة النور- (٥٢).

(١٨٩) مجموع فتاوى ابن تيمية- ٤٦/١.

(١٩٠) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ١٣٩/٢.

(١٩١) سورة الشورى- (٩).

(١٩٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الطبري - ٤٧٣/٢٠.

(١٩٣) سورة الحج- (٧٨).

(١٩٤) سورة الأنفال- (٤٠).

النـــور، وتربيتهم بلطـــفه، وإعانتهـــم في جمـــيع أمورهم[١٩٥].

ثامناً: معية الله تعالى لعباده المجاهدين

من اعتقاد أهل السنة والجماعة إثبات صفة المعية لله تعالى، ودلت آيات الجهاد على معية الله، كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[١٩٦]. وقال تعالى ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[١٩٧].

إن معية الله تعالى للمجاهدين هي من المعية الخاصة، إذ أن الله مع جميع خلقه (بعلمه) سبحانه كقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١٩٨]. قال ابن تيمية: والمعية معيتان: عامة وخاصة. فالأولى قوله تعالى: {وهو معكم أين ما كنتم ﴾ والثانية قوله: ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾[١٩٩].

وللعناية الإلهية بالمجاهدين الموحدين كانت المعية الخاصة شاملة لهم، ومن أبرز معاني وحكم هذه المعية ومقتضاها: (أنه مطلع عليكم ؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد[٢٠٠].

والجانب الإيماني في هذه العقيدة أن يستشعر المجاهد أن الله الذي وصف نفسه ســبحانه ﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً ﴾ تؤيده وتنصره، كما تقتضي علمه وإطلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضية لتخويف العباد منه، فمن حفظ الله، وراع حقوقه، وجده أمامه وتجاهه على كل حال، فاستأنس به، واستغنى به عن خلقه[٢٠١].

---

(١٩٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- السعدي- ٦٩٩.

(١٩٦) سورة التوبة- آية (١٢٣).

(١٩٧) سورة البقرة- آية(١٩٤).

(١٩٨) سورة المجادلة- آية(٧).

(١٩٩) مجموع فتاوى ابن تيمية- ١٢٢/٥.

(٢٠٠) مجموع فتاوى ابن تيمية- ١٠٤/٥

(٢٠١) جامع العلوم والحكم -ابن رجب الحنبلي- شرح الحديث (١٩)- ١٦٤. (بتصرف)- مصطفى البابي الحلبي- مصر- ١٣٨٢هـ

ومن معاني النصرة والتأييد في معية الله من خلال آيات الجهاد، ما يلي:

١- الإمداد بالملائكة: إن من معاني معية الله في آيات الجهاد، إمداد المجاهدين بالملائكة في غزوة بدر ومشاركة الملائكة في القتال، مشاركة معنوية وهو التثبيت، ومشاركة حسية وهو القتال، قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[٢٠٢].

٢-إلقاء الرعب: إن من معاني معية الله في آيات الجهاد إنزال الرعب في قلوب الأعداء، ومعنى: الرُّعْبُ: الخوف. رَعَبْتُ فلاناً رُعْباً ورُعُباً فهو مرعوب مُرْتَعِبٌ، أي: فَزِع[٢٠٣]. وجاءت كلمة الرعب في القرآن الكريم في أربع آيات تتضمن كلمات الشدة (قذف) و(إلقاء). ومن هذه الآيات قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً ﴾[٢٠٤].

إرسال الريح:

٣- إرسال الريح: ومن معاني المعية الخاصة في آيات الجهاد، إرسال الريح، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾[٢٠٥] يذكر الله منته لعباده المجاهدين ونعمته عليهم بأن أرسل ريحاً على المشركين في غزوة الأحزاب. وبأمر الله وقدرته جرت هذه الرياح، وكانت الهزيمة للمشركين، وظهر بوادر الخسران فيهم، أمر أبو سفيان جيشه أن يجتمع، ثم قال لهم: (..لقينا من هذه الريح ما ترون والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم)[٢٠٦].

٤- إنزال السكينة: إن إنزال السكينة في وقت المحن وكثرة الأعداء، وقلة الناصر والمعين للمؤمنين، من معاني المعية الخاصة في آيات الجهاد، كما قال: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾[٢٠٧] والسكينة التي نزلت تعني طمأنينته وثباته على رسوله ﷺ والذين معه[٢٠٨].

---

(٢٠٢)سورة الأنفال- آية(١٢).

(٢٠٣) انظر: كتاب العين- ١١٢/١- الخليل بن أحمد.

(٢٠٤) سورة الأحزاب- (٢٦).

(٢٠٥) سورة الأحزاب- آية(٩).

(٢٠٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل- ٣٩٢/٥- حديث حذيفة بن اليمان.

(٢٠٧) سورة الفتح- آية (١٨).

(٢٠٨) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٣٢١/٧.

أهم نتائج البحث

وبنهاية استعراض آيات الجهاد في كتاب الله، والوقوف على أقوال أئمة المفسرين، حول تفسير الآيات القرآنية والتي يستنبط منها مسائل في الاعتقاد، ظهرت للباحث نتائج من أبرزها ما يلي:

١- ضرورة تربية العسكريين وهم المناط بهم الجهاد في سبيل الله، تربية عقدية مرتبطة بكتاب الله تعالى، وتعليمهم للتوجيهات الربانية في ذلك، وأن تكون هذه التربية مؤصلة بكتاب الله تدبراً وفقهاً، وبسنة رسوله ﷺ كما فهمها سلف الأمة.

٢- إن العقيدة والفقه أصلان في قوام حياة المسلمين، فلا معتقدات جامدة، ولا عبادات بدعية، بل علم وعمل كما قال تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾. ويجب أن ترتبط بالكتاب والسنة.

٣- ضرورة بناء الأجيال على الفقه والتدبر لكلام الله، وإزالة الشبه التي يثيرها أعداء الدين حول أهداف الجهاد في سبيل الله، ومقاصده.

٤- إن الجهاد في سبيل الله عبادة جليلة، وعقيدة سامية، سلكها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وسار على آثارهم أتباعهم من العلماء والأمراء، وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر لقول النبي ﷺ: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).

المراجع

القرآن الكريم

الصالح، صبحي، ت/ أحكام أهل، دار العلم للملايين- بيروت-لبنان-ط:٢- ١٤٠١هـ.

الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.

القسطلاني، إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري، بهامشه صحيح مسلم بشرح النووي- مكتبة المثنى- بغداد.

الشيخ عبدالوهاب، بن محمد، أصول الإيمان، جامعة محمد بن سعود- الرياض- ١٣٩٨هـ

الشنقيطي، أضواء البيان، دار عالم الكتب- بيروت.

الكرمي، مرعي، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان-ط:١- ١٤٠٦هـ.

الإمام الشافعي- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط:٢- ١٣٩٣هـ.

العلياني، علي، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، - دار طيبة- الرياض- ط:١- ١٤٠٥هـ.

الذهبي، تاريخ الإسلام، دار الكتاب المصري- القاهرة- ط:١- ١٤٠٥هـ

الشيمي، يحيى، تحريم الحروب في العلاقات الدولية، القضاء العسكري- ١٩٧٦م.

القرني، سعيد عبدالرحمن، تغليق التعليق على صحيح البخاري، المكتب الإسلامي- بيروت- ط:١- ١٤٠٥هـ

الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، - بيروت- لبنان- ط:١- ١٤١٣هـ

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مطبعة الشعب- القاهرة.

الرازي، محمد، التفسير الكبير، - دار إحياء التراث العربي.

الأزهري، تهذيب اللغة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر- ١٣٨٣هـ.

الدميجي، عبدالله، التوكل على الله تعالى، دار الوطن- ط:٢- ١٤٢١هـ

اللويحق، عبدالرحمن بن معلا، ت/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- السعدي، مؤسسة الرسالة- الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ.

الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، البحوث والدراسات العربية والإسلامية- دار هجر- القاهرة- ط:١- ١٤٢٢هـ.

ابن تيمية، جامع الرسائل، دار الفكر.

الحلبي، مصطفى البابي، جامع العلوم والحكم -ابن رجب الحنبلي، مصر- ١٣٨٢هـ

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب المصرية- ط:٢- ١٣٧٢هـ.

القادري، عبدالله، الجهاد في سبيل الله حقيقة وغايته، دار المنار- جدة- ط:١- ١٤٠٥هـ

ابن عابدين، حاشية رد المختار، دار الفكر بيروت — لبنان- ١٤١٥هـ.

عثمان، عبدالرحمن محمد، ت/ دلائل النبوة- البيهقي- ، دار الفكر- بيروت- ١٤١٨هـ.

ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي- بيروت- ط:٣- ١٤٠٤هـ

سنن أبي داود، - المكتبة العصرية-بيروت-ترقيم العالمية

سنن الترمذي، دار الكتب العلمية- ترقيم العالمية.

ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- السعودية.

الغامدي، أحمد، ت/شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة- اللاكائي، دار طيبة- الرياض.

عبدالجبار، القاضي، شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة- مصر- عابدين- ط:٢- ١٤٠٨هـ.

ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة- بيروت- ط:١- ١٤٠٨

هراس، محمد خليل، شرح العقيدة الواسطية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- السعودية- ١٤٠٧هـ.

الغنيمان، عبدالله، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، مكتبة الدار المدني- المدينة- ط:١- ١٤٠٥هـ.

البهوتي، شرح منتهى الإردات، دار الفكر.

صحيح البخاري- دار القلم- بيروت- ١٩٨٧م- ترقيم العالمية

صحيح مسلم- دار إحياء التراث العربي- ١٩٥٤م- ترقيم العالمية.

ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

ابن حجر، فتح الباري، - المكتبة السلفية- القاهرة- الطبعة الرابعة- ١٤٠٨هـ

الشوكاني، فتح القدير ، دار المعرفة- بيروت- لبنان

قطب، سيد، في ظلال القرآن ، دار العلم للطباعة والنشر- جدة- ط:١٢- ١٤٠٦هـ

أبو هيف، القانون الدولي العام، منشأة المعارف بالاسكندرية- ط:١٢- ١٩٧٥م.

السعدي، القول السديد شرح كتاب التوحيد، وزارة الشئون الإسلامية- بالسعودية- ١٤٢١هـ

الإسماعيلي، أبو بكر، كتاب اعتقاد أهل السنة، الريان- الإمارات العربية المتحدة- الفجيرة— ط:١- ١٤١٣هـ.

عطا، مصطفى عبدالقادر، ت/ كتاب الأسماء والصفات- ابن تيمية- ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط:١- ١٤٠٨هـ.

الألباني، محمد، ت/ كتاب الإيمان- ابن أبي شيبة، دار الأرقم- الكويت- ١٣٨٥هـ

عبدالوهاب، محمد، كتاب الكبائر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية- ط:٢- ١٤٢٠هـ

البهوتي، كشاف القناع، - مكتبة الباز- السعودية- مكة المكرمة- ط:٢- ١٤١٨هـ.

ابن المنظور، لسان العرب ، - دار صادر.

المقدسي، ابن قدامة، لمعة الاعتقاد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية- ط:٢- ١٤٢٠هـ

مجموع فتاوى ابن تيمية- ط:٢- ١٤٠١هـ- مكتبة المعارف- الرباط.

الخليل، عبدالعزيز، ت/ مدارج السالكين- ابن القيم- ، دار طيبة- الرياض- ط: الأولى- ١٤٢٣هـ

مسند الإمام أحمد- دار الفكر العربي.

المغازي-الواقدي، عالم الكتب- بيروت- ط:٣- ١٤٠٤هـ.

المغني، ابن قادمة، دار عالم الكتب- الرياض- ط:٣- ١٤١٧هـ.

ابن هشام، مغني اللبيب عن تكتب الأغاريب، -المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ١٤٠٧هـ

إدريس، جابر، مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها، - أضواء السلف- الرياض- ط:١- ١٤٢٢هـ.

المصري، محمد أمين، من هدي سورة الأنفال، دار الأرقم- الكويت- بدون تاريخ الطبع.

الرومي، فهد، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، -مؤسسة الرسالة—بيروت- ط:١-١٤٠١هـ.

البقاعي، إبراهيم عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور-إبراهيم بن عمر البقاعي-دار الكتب العلمية.

ابن الجزري، النهاية في غريب الأثر ، أنصار السنة المحمدية- لاهور- باكستان.

Belief Issues In the Scope Of Jihad Verses In the Holy QURAN

Khalid I. Al-dobaiyan
Assistant Professor. Department of Islamic Studies, King Faisal Air Academy
Riyadh. Kingdom of Saudi Arabia

(Received 7/11/1427H; accepted for publication 29/2/1428H.)

Research abstract . This research is dealing with jihad for the sake of Allah and its correlation with the Islamic faith. It is also to clarify the existing views of people towards the two extremes of jihad and state the reasonable standing according to the Noble QUR'AN and the Sunnah of prophet Mohammed peace be upon him and his companions. This clarification is supported by some verses which deal with jihad in the Holy QUR'AN. The researcher aims to assure the unity of Islamic faith regulations and correlate them with the Holy QUR'AN and Sunnah. Additionally, the research deals with the mission of military people who are the core of jihad.

The researcher conclude that military people should be:

- carefully educated because they are assigned the duty of jihad.
- religiously promoted by developing their understanding of Allah's words.
- taught the actual and not the hazy picture of jihad and state that jihad is one way of worshiping Allah like any other kind of worshiping.
- Oriented that jihad is not only limited to prophet Mohammed peace be upon him and his followers but also to all prophets who anteceded him.